الفصل الخامس

أطفالنا..والمسرح الافتراضي

شهدت السنوات الأخيرة ثورة هائلة في تكنولوجيا الاتصال والمعلومات ممَّا جعل من شبكة الإنترنت مكتبة عالمية يمكن أن يرتادها كُلّ الأفراد، ومن أي بقعة على سطح الأرض، وهذه الشبكة جعلت كُلّ وسائل العلم والمعرفة عند أطراف الأصابع. إنَّها رؤية أخرى تتجاوز استخدام التكنولوجيا في المسرح، لتصبح مادة التكنولوجيا هي المسرح الحقيقي للأحداث، وهنا يكون المسرح قادراً على تجاوز المحدودية إلى عالم لا محدود نحو الحداثة.

ويمكن القول حينما نتحدَّث عن العالم الواقعي للمسرح بكُلّ مفرداته أنَّه محدود وغير قادر أن يفك أسر الواقعية، ولكن مع عالم الإنترنت، ذلك العالم الافتراضي الذي ينطلق بلا حدود نحو الحداثة بكُلّ قيمها على مستوى الشكل والمضمون معاً.لذلك لم يعد المسرح الجديد هو الذي تجاوز الحبكة التقليدية، أو الذي حطم الوحدات الثلاث: الموضوع والزمان والمكان، أو المسرح الذي هجر الكلمة وتغنى بلغة الجسد؛ وإنَّما هو المسرح الذي انطلق من سمات عصره.

يمثل برنامج المسرح الافتراضي مبادرة قامت بها منظمة"دنجونف" Dengonf ،وهي منظمة إسبانيَّة تهدف إلى دمج العروض الحيَّة بتكنولوجيا (النت) لتطوير واستكشاف العلاقات الحقيقية بين المسرح والإنترنت.حيث ظهرت تقنية المسرح الافتراضي في البداية لمساعدة طلبة المسرح في استيعاب الفروع المختلفة لعلم المسرح، ويستخدم في ذلك مسرح افتراضي ثلاثي الأبعاد يسمح للمُستخدم بالدخول وتفقد البيئة المحيطة والتحكُّم في: الإضاءة والحركة والتصميمات، وهي تقنية تسمح بالتحكُّم في العرض ككُلّ ومن ثمَّ حدوث نوع كبير من التفاعُل بين المُستخدم والعرض، إنَّها مرحلة فوق الواقع Super-Realism.

♦ ما يقدمه المسرح الافتراضي للأطفال:

كُلّ ما كان يأمله الطفل في وقتٍ من الأوقات أن تفعم لُعبته المفضلة بالحياة،ومن ثمَّ يستطيع اللَّعب معها،وهذا الحُلم تحوَّل إلى حقيقة، ويرجع الفضل في ذلك إلى الحاسوب، فقد قامت الباحثة "باربرا روث"Barbara Roth بتوظيف بعض تقنيات" الذكاء الاصطناعي"Artificial intelligence لخلق المسرح الافتراضي للأطفال.

يُساعد المسرح الافتراضي الأطفال على التفاعُل ومشاركته شخصيات الرسوم المُتحرِّكة لرسم وخلق قصَّص خاصَّة بهم. كما يُساهم هذا المسرح الافتراضي بدور كبير في العملية التعليميَّة، فهو يخلق مناخاً تعليمياً قائماً على التجربة، ويُساعد الأطفال على تعلُّم العديد من المهارات بشكلٍ عملي مثل: الكتابة وبرمجة

الحاسب،إلى جانب المهارات الفنيَّة والاجتماعيَّة. وأيضاً ويُقدَّم المسرح الافتراضي مزيداً من التفاعُل بين الأطفال والحاسوب حيث تقوم الشخصيات الافتراضيَّة بدور المُساعد للمُستخدم، فهي تُقدِّم له العديد من المهارات التي يحتاجها،والتي هي بدورها أهداف"الذكاء الاصطناعي الذي ظلّ مجالاً للبحث لأكثر من عشرين عاماً.

عن طريق المسرح الافتراضي يستطيع الأطفال سوياً التحكُّم في انفعالات وتصرُّفات الشخصيات المُتحرِّكة باستخدام تقنية"الجرافيك" Graphic التي توضح لهم مشاعر وطريقة تفكير الشخصيات في كُلِّ لحظة، وهذه الطريقة تُمكِّن الأطفال من مشاركة بعضهم البعض وخلق قصَّة مشتركة، وكذلك كتابة الحوار وتصميم الشخصيات والملابس والديكور والإضاءة وإعداد الموسيقى وتقديم العرض المسرحي بشكلٍ متكامل.هذا، وفي المستقبل القريب ينوي علماء الحاسوب تطبيق تقنيات جديدة يقوم فيها الأطفال بدور المؤلِّف المسرحي وكاتب السيناريو.

♦ سمات المسرح الافتراضي:

* أولاً: الاتصال بشبكة الإنترنت:

اتصال الأفراد بشبكة الإنترنت له احتياجات مادية وبرمجية ومعرفية، تتمثَّل الأوَّلى منها في حاسب وبرنامج اتصالات، أمَّا الاحتياجات المعرفية فتتمثَّل في البحث عن مؤسَّسة توفر خدمة الاتصال ومعرفة نوع الخدمة وتكاليفها وتقديم طلب الاشتراك وسداد الرسوم ومعرفة اسم الدخول وكلمة السر من مؤسسة التوفير للخدمة، ثُمَّ يلي ذلك تحقيق الاتصال بتشغيل الجهاز وبرامج الاتصال ثُمَّ الدخول إلى الشبكة وتشغيل برامجها والاستفادة من هذه البرامج واستثمارها للوصول إلى المواقع المختلفة في الشبكة والاستفادة من هذه المواقع.ومن هنا فإنَّ الاتصال بشبكة الانترنت له بعد اقتصادي مهم لابد من توفره حتى يكون هذا الاتصال قائماً، فضلاً عن البعد المعرفي والعلمي.بكيفية الاتصال.

* ثانياً: التعدُّدية الثقافيَّة:

من خلال شبكة الإنترنت يمكن الانفتاح على الآخر، لقد أصبح ممكناً الآن أن يرسل أي إنسان إلى إنسان آخر رسالة عبر الانترنت لأغراض تجارية أو تعليمية أو حتى لمجرد التسلية، كما يمكن لأي قعيد أو جالس بالبيت أن يجري محادثات بالصوت والصورة مع أصدقاء ربما تعذر أن يلتقي بهم.

يمكن التعرُّف على الأعمال الثقافيَّة بشكلٍ عام،وعلى فنّ المسرح بشكلٍ خاص في البلدان المختلفة في عالمنا الكوني الصغير،وهذا يُتيح التعرُّف على التيارات والرؤى المختلفة،وعلى القيم في الثقافات الأخرى، ومن ثمَّ فهذا يولد التلاحُم والتنوُّع والتلاقح في المعارف المغايرة ممَّا يولِّد إبداعات جديدة لمجتمع اليوم القائم على اللَّامركزية، كما يُساعد على الخروج من قوقعة المكان إلى الاتساع، ومن فلسفة الجزر المعزولة إلى التعاون الجماعي من أجل التكامل واستبدال المعرفة القديمة بمعارف مستجدة.

* ثالثاً: السهولة المعرفية:

إنَّ استخدام أسلوب الإنترنت يتمتَّع بالسهولة واليسر في الحصول على المعارف والمعلومات سواء الاجتماعيَّة أو العلميَّة أو الاقتصاديَّة أو السياسيَّة أو الفنيَّة.. الخ، لأنَّه يمكن أن يستخدم في أي وقت إذا كانت الأجهزة متوافرة، وأيضاً في أي مكان فليست هناك عادات وتقاليد وطقوس مُعيَّنة لابد من إتباعها، كما يحدث في المسرح التقليدي أو الكلاسيكي حيث هناك مكان محدد للعرض المسرحي وأيضاً هناك وقت مُحدَّد، ومن ثمَّ فهو مُحدَّد الزمان والمكان. هذا على عكس المسرح بالانترنت فهو مفتوح الزمان والمكان ممَّا يجعله متفاعل مع الثقافات العالميَّة.

* رابعاً: الفردية:

إنَّ ثورة المعلومات أدت إلى إزالة عقبات الزمان والمكان وبالتالي إلى زيادة الاتصال والمعرفة بين مختلف الأفراد في القرية الكونية وساعد ذلك على الانعزال والفردية. وقل مثل ذلك على الحاسوب والإنترنت فهي تفتح أمام الفرد إمكانات غير محدودة من المعرفة في مختلف أجزاء المعمورة، فالفرد أصبح يحصل على هذه المعلومات وهو وحيد، منعزل أمام شاشته دون اتصال إنساني مباشر.

إنَّ التعامُل مع المسرح على شبكة الإنترنت ينمي الروح الفردية.والذَّاتية الفردية لا تنمو نموّ الشخصيَّة الإنسانيَّة، ومن هنا فإن الروح الجماعيَّة مفتقدة، أمَّا في المسرح الكلاسيكي فإن الروح الجماعيَّة هي التي تصنع التوحُّد مع العرض المسرحي،ممَّا يجعل هناك تغيُّراً في المفهوم لدى الجمهور، نتيجة التفاعُل والمشاركة المباشرة لاستقبال الرؤية الفنيَّة في العرض،هذا التغيير أثناء العرض المسرحي، يمكنه أن يصنع تغييراً في السلوك خارج جدران المسرح، بمعنى أنَّه داخل جدران الواقع الاجتماعي في المسرح الإلكتروني تكون الفردية بينما تتلاشى الجماعية.

* خامساً: تكنولوجيا التسمُّم الثقافي:

إذا كان للتكنولوجيا إيجابياتها في رفع مستوى الحياة الإنسانيَّة وتحقيق الرخاء والرفاهية من خلال توفير الوقت والجهد، وإيجاد الحلول وعلاج الكثير من المشكلات والأمراض؛ إلَّا أنَّها على الجانب الآخر تسبَّبت في كثير من الانحلال الخُلقي والتفكُّك الأسري وانتشار المخدرات والسرقات وسيادة العنف والجريمة، فمن أبرز حوادث العنف التي ظهرت أخيراً قيام اثنين من الصبية بعملية قتل جماعية في مدرسة بالولايات المتحدة الأمريكية لزملائهم ومدرسيهم، كان هذان الغلامان قد اعتادا مشاهدة ألعاب وبرامج الكترونية لا تختلف كثيراً عن المشهد الذي قاما بتمثيله على مسرح الحياة، وكأنَّهما مستمران في ممارسته على أزرار الحاسوب ومشاهدة آثاره على شاشة الجهاز واستعارة أسماء الأبطال الوهميين، واختلط الخيال بالواقع، والحقيقة الاعتبارية بالمأساة الحقيقية، لقد رأى هذان الصبيان المشاهد نفسها على شاشة الحاسوب في برامج إلكترونيَّة، بل قاما بإنتاج أشرطة فيديو لسيناريوهات مماثلة قبل أن يقوما بجريمتهما، فلم يهتز لهما جفن، فقد أصيبا عملياً بمرض (فقدان المناعة ضدّ العنف) Acquived Violence Immune Deficiency.

♦ خصوصية الطفل العربي:

إنَّه من قبيل النظرة الموضوعية عدم وضع أفضلية لكلا المسرحيين، المسرح التقليدي الكلاسيكي والمسرح الافتراضي، لأنَّ الرؤية الثقافيَّة المتكاملة تحتاج إلى كليهما فهما الأصالة والمعاصرة. نحن بحاجةٍ إلى أن نوصل المسرح الكلاسيكي ونطوره، ونحن أيضاً مطالبين بمسايرة العصر بكُلِّ تطوراته ومستجداته حتى لا ننعزل عن المسار الحضاري الذي يعيشه العالم من حولنا.

لذلك يجب تفهُّم مضمون المعلومات الواردة على الإنترنت لكُلٍّ من البيت والمدرسة والمكتبة لحماية أطفالنا العرب من المضامين الضَّارة، ووضع ضوابط الاستخدام ومدته، خاصَّة مع وابل المعلومات الغزيرة التي تهطل على المستخدم في كُلِّ المجالات. مع ضرورة تلبية حاجة الطفل للمعرفة، ومشاركة الأطفال في استخدام شبكة الإنترنت في مختلف المجالات لبيان الاستخدام المفيد وتكلفته، وكذلك مراعاة المرحلة العُمْرية للطفل واحتياجاته في التعليم والتسلية.

من الضروري الاهتمام ببناء ثقافي جديد للطفل العربي يهدف إلى بناء جيل جديد قادر على مواجهة التحديات والمتغيرات العالميَّة والآثار السَّلبية لتدفق المعلومات والانفتاح على الثقافات العالميَّة، مع مراعاة أنَّ الطفل يتأثَّر بالمجتمع الذي يعيش فيه قيماً وسلوكاً، مع التأكيد الدائم على هويتنا الثقافية والتي تقوم على أنَّنا جزء من الثقافة العربيَّة ،وأنَّنا جزء من ثقافة العالم ككُلٍّ.